

مطرائية قوص ونقادة للأقباط الأرثوذكس
كاتدرائية أول الشهداء بقوص

ساكنة القبر المجاور

مراجعة
نيافة الأنبا بيمن
أسقف نقادة وقوص

بقلم الراهب
متياس الصموئيلي

**مطرانية قوص ونقادة للأقباط الأرثوذكس
كاتدرائية أول الشهداء بقوص**

ساكنة القبر المجاور

مراجعة

نيافة الأنبا بيمن

أسقف نقادة وقوص

بقلم الراهب

متياس الصموئيلي

اسم الكتاب: ساكنة القبر المجاور
المؤلف: الراهب متياس الصموئيلي
تصميم الغلاف: م جورج جبرة
التصميم الداخلي: رافت فهم عطيتو
المطبعة: أمدحت حنا
الطبعة: الأولى أغسطس ٢٠١٠
رقم الإيداع: ١٦٦٧٨ / ٢٠١٠
النشر الالكتروني: نوفمبر ٢٠٢١



صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم

الأنبا تاووضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل

الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء المحرق
العامر



نيافة الحبر الجليل

الأنبا باسيليوس

أسقف ورئيس دير الأنبا صموئيل المعترف
العامر



نيافة الحبر الجليل

الأنبا بيمن

أسقف قوص ونقادة وكل توابعهما
ورئيس دير رئيس الملائكة ميخائيل العامر
ببرية الأساس



مثلت الرحمات نياقة الحبر الجليل

الأنبا كاراس

أسقف عام المحلة الكبرى وكل توابعها

مقدمة

في نهاية قانون الإيمان وبداية القداس الإلهي يصرخ الشعب كله ” ومنتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي “ وهذه العبارة العقائدية البسيطة تعلن وتؤكد بعض المفاهيم :

أنك ستموت.

أيضاً ستقف أمام الديان العادل.

ثالثاً هذا الدهر زائل،

فلكي تتمتع بالدهر الآتي :

(حب إلهك من كل قلبك وقريبك كنفسك)

افعل هذا فتحيا

الرب يبارك هذا العمل لمجد اسمه القدوس،

بشفاعة والدة الإله القديسة مريم

وصلوات صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

وشركاءه في الخدمة الرسولية

نيافة الحبر الجليل

الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس الدير المحرق العامر

نيافة الحبر الجليل

الأنبا باسيليوس

أسقف ورئيس دير الأنبا صموئيل المعترف

نيافة الحبر الجليل

الأنبا بيمن

أسقف قوص ونقادة وكل تخومهما

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

المؤلف

(١)

لا... لا بد من قتلها، هكذا قالت العروس.
 وأسرعت الأم، لا يا ابنتي، لا تنتقمي لنفسك،
 لي النعمة أنا أجازي يقول الرب، أعط مكاناً للغضب
 (ينصرف)

لا تغرب الشمس على غيظكم ^(١) هكذا قال
 الكتاب، لا تلقي بنفسك في الهلاك. انتظري، اتركي الله
 يعمل، أعطي فرصة لنفسك ووقت للمحبة وزمن
 للسلام، بصبركم تقتنون أنفسكم (والآخرين)
 لا يا أمي، كفى عذاب وخراب، لا بد وأن تموت
 هذه المرأة كي أعيش أنا !

(١) لا تغرب شمس النهار وأنتم في خصام، لا بد أن يأوي كل إنسان إلى
 فراشه ولا يحمل في قلبه شيء لأخيه، لئلا تؤخذ نفسه في ذات الليلة،
 فكيف يقدم جواباً عن حزن أخيه الذي مات المسيح من أجله؟
 والمعنى الأشمل لا تغرب شمس البر عن حياتنا من أجل قساوتنا أو كسلنا
 أو تهاوننا كما حدث مع عروس النشيد (الكسلانة)، التي عندما قامت
 صرخت حبيبي تحول وعبر. نفسي خرجت عندما أدبر طلبته فما وجدته
 دعوته فما أجابني (نش ٥ : ٦)

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

(لا تقتل) هذه وصية قديمة قيلت للأولين، فكم بالأولى ونحن في زمن النعمة وفعل الأسرار وتعزيد الروح القدس.

وأين الصلاة يا ابنتي، الصلاة التي نقلت الجبال وغيرت القلوب وزعزعت أساسات السجون؟

ولماذا اخترتِ أنتِ أن تسلكي الطريق الوعر لحل مشكلتك؟ أليس عليك أنت أيضاً جزءاً من هذا الخلاف يا ابنتي، ونصيب وافر مما أنتن فيه من خصام؟ لا تلقي بكل الملامة على حماتك، وماذا قدمت لها أنتِ من عمل محبة حتى نقضي عليها بأنها خاطئة ونحكم عليها بالموت؟

لا يوجد عدااء بين اثنين يصنعه شخص واحد، ولا تقولي لي وما لي أنا، وكم مرة يا ابنتي مددت يدك للسلام؟ فإن لم يكن الطرف الآخر إيجابياً فقد ساهم أيضاً بسلبيته في اتساع نطاق الخلاف. أليس كذلك؟ وإن كان المسيح يقول أحبوا أعدائكم، فكم بالأولى أم زوجك وجدة أولادك؟ إن القتل يا ابنتي كلمة

فقط تؤكد أن قائلها يحمل في جسده سيف وليس
قلب !!

ووضعت الابنة كلتا يديها على رأسها، وصرخت
كفي وعظ يا أمي، سوف لا أعطي أية آذان للإرشاد أو
مجال آخر لغير الموت، إنني أعرف جيدا طبيعة هذه المرأة،
وإلى متى أيضاً سأظل هكذا في قلق واضطراب ومر
وعذاب؟

متى استمتع بالحياة وأفرح بأسرتي وبيتي؟ بينما
العمر كبخار وحياة الإنسان كأشبار، ومولود المرأة قليل
الأيام، وأن أعيش في سلام فهذا أبسط الحقوق
الإنسانية المشروعة. أليس هذا صحيح؟

ابنتي اسمعيني، إننا نعيش للأبدية وليس لهذا
الدهر، هذه الأيام قليلة ورديفة، ستمر بجلوها ومرها، في
جوع وعطش، في ألم، في مرض، في احتياج، في فقر، في
اضطهاد، في ضيق. ومن ينظر إلى الأبدية لا يرى شيء
في هذه الحياة يستحق الاهتمام أو الخصام، إن الأبدية
أهم بكثير، إننا أخرويون يا ابنتي، أي أن حياتنا جذورها

فوق في السماء، وعلينا أن نثمر حتى نعود إلى هناك، وما تفكرين فيه يجعل شجرتك عقيمة.

آه لو علمت يا ابنتي أن لنا ميلاد آخر يتناسب مع وصية المحبة غير الميلاد الترابي، ليس من جسد ولا من دم ولا من مشيئة رجل بل من الله، إذًا المحبة تتناسب مع طبيعتنا الجديدة حيث أنك مولودة من الله، والمولود من الله لا يخطئ، ولا يستطيع أن يخطئ.

اتركيني الآن يا أمي، وبدأت تفكر قليلاً وتتململ كثيراً، لم يغمض لها جفن ولم تنم لها عين أيام وليال وشهور، وأخيراً قامت صارخة ”وها قد جاءت الفكرة“ وأسرعت وانسقرت ليلاً تحت ستار الظلام وسواد الليل والفكر، انسحبت ذاهبة إلى بيت الحكيم وطرقت الباب، قالوا عنك الكثير يا سيدي وتركيباتك السحرية، أريد قليلاً من السم يحمل كثيراً من الموت، وما هي مشكلتك أيتها العروس الصغيرة حديثة الأيام قليلة الخبرة، لا تموتين أبداً، لا يا سيدي ليس أنا، حماتي أيها الحكيم، حماتي تحمل لي الموت مئات المرات في اليوم الواحد، ولا

حياة لي إلا بموتها، أريد أن أقتلها مرة قبل فوات الأوان،
فأنا العدو الذي أسر فلذة كبدها واستعمر البيت، هكذا
قالت وعلى حد تعبيرها.

أريد سم فتاك يقتل بلا رحمة، يقتل في التو
والحال، وعلى رأي المثل سوف أتغدى بها قبل أن تتعشى
بي، فابتسم الحكيم وقال لا يا ابنتي لا يصح أبداً أن
نفعل هكذا وتموت فجأة حماتك، أكيد ما يحدث بينكما
من خلاف لا يخفى على أحد، والمشكلة معروفة لدى
الكثيرين، أليس هذا صحيح؟

نعم، ولكن ماذا ترى أنت يا سيدي الحكيم،
سأعطيك ما يقتل يا ابنتي لكن على مدى من الزمن ”
سته أشهر على الأكثر “ حتى يخيّل للجميع أن الموت
جاء طبيعياً، ولعلها إن ماتت سريعاً فإن هذا بالطبع يثير
الشك في القلوب، ربما ذلك أيضاً سيؤدي إلى شبهة
جنائية، ويضعك أنت تحت طائلة القانون والمساءلة،
ونحن في غنى عن هذا وذاك، فقالت آه يا سيدي وهو
العمر فيه كم سته أشهر حتى أنتظر؟ وما هي قوتي حتى

أحتمل؟ لكن لو لم يوجد حل آخر أعطني يا سيدي وبسرعة، ولم يغب الرجل كثيراً داخل حجرة مظلمة وجاء ومعه (باكت بودر) وأسرعت الابنة وهمت بالخروج والانصراف لكنه استوقفها بشيء من الحزم وقليل من الشدة، وقال بمشاعر جافة وصوت أجوف: يوضع ثلاث مرات في اليوم على طبق الإفطار بقدر جرام واحد، وأيضاً الغداء والعشاء كذلك، دون أي إهمال حتى يجيء بالنتيجة المرجوة، ويأتي بما نريده في الوقت المناسب، فقالت له أكتب لي يا سيدي كل ما تريده وطريقة الاستخدام، إنني مضطربة وخائفة جداً ولا أفهم الآن ما تقوله، وذهبت عائدة إلى المنزل قبل أن يعلم أحد من أمرها شيئاً.

ولكنها اكتشفت المفاجأة والتي لم تكن أبداً في الحساب، من سيضع لي هذه المقادير بانتظام في الطعام بينما أنا لا أرها كثيراً ولا طرقت لها باباً من سنين؟ هل هو ابنها (زوجي) وكيف ذلك وهي أيضاً ست الحبايب عنده؟

هل ابنة الأربعة أعوام، وما لها أيضاً بهذا الموت؟
وماذا أيضاً لو أكتشف الأمر كله؟ قضية، تشهير، موت،
وماذا عني أنا في نظر ابنتي الصغيرة التي قتلت جدتها؟
المشكلة زادت تعقيداً والموت سيصبح بطيء
وشبهه مستحيل، وبدأت تفكر ثم وضعت يدها على
خدها لمدة دقائق معدودة، آه قد علمت ماذا أفعل..
نعم مصاريف زيادة، تكلفة عالية، إرهاق نفسي وبدني
وميزانية البيت، تنازل عن كرامتي، لكن كل هذا لا يهم،
المهم أن تموت هذه المرأة وأفوز أنا بزوجي وبيتي وأسرتي.
يقولون إن القديسين يحتملون عشرات السنين في جوع
وبرد وصوم وسهر وصلاة من أجل هدف واحد هو
المسيح، وإن كان شتان أيضاً بين المقارنة ووجه الشبه،
المهم لكل هدف يسعى إليه ويتعب لأجله.
وبدأت رحلة الموت وستة أشهر العذاب.

(٢)

ولأول مرة منذ سنوات تطرق لحماقتها باب،
 وابتسمت خفية وقالت سرّاً: وهل يوجد في القبور أحياء؟
 وجاء الصوت من الداخل يسأل مَنْ الطارق؟ فلم يُجِبْ
 أبداً، وتكرر السؤال والطرق أيضاً دون أية إجابة، وأخيراً
 فتحت أم زوجها وتغيرت في الحال ملامحها كثيراً، وكأنها
 قد رأت أفعى وليست زوجة ابنها، وصرخت في وجهها
 وقالت ” أنتِ تاني؟ “

منذ متى أنا مهمة في حياتك؟!

من اليوم فصاعداً يا حماتي يا حبيتي !

وما هذا الذي معك؟

طبق أوملت، (بيض) وكوب لبن دافئ بالعسل

الأبيض.

اذهي لقد أكلت، أذهبي الآن من أمامي، هذا

أفضل لك كثيراً

وكادت العروس أن تبكي وبدأت تتوسل وتتودد

وتلح، أستحلفك بحياة ابنك الغالي لا تكسفيني هذه

المرة، وتشبثت الطفلة بثوب جدتها، ورمقت الجدة حفيدتها بنظرة لا تفهمها أبداً وقتئذ.

وعلى مضض أخذت الإفطار، وبسرعة أغلقت الباب في وجهها بشدة ونرفزة، وكاد أن ينكسر، وعادت العروس وهي غير مصدقة أنها قد نجحت في دق أول مسمار في نعش حماقتها.

وعلى جانب آخر ماما هو ليه بابا قاعد عند تيتة (الجدة) دائماً؟

إحنا ليه يا ماما مش بنروح الكنيسة زي عمو يوحنا ساكن أول الشارع؟

ليه بابا مش بيقعد عندنا كثير زي بابا مريم صاحبتى، ولا يخرج معنا ولا حتى يياكل معنا كثير، هو بابا ده غير بابا مرمر؟ ليه أبونا لما بيعجي عندنا مش بتسلمي عليه يا ماما ولا بتقعدى معاه؟

وتركت صغيرتها — فيرينا — دون أية إجابة وقد تجاهلت الأمر كله، وأسرعت لتعد طبق الغداء لساكنة القبر المجاور، وتأخرت كثيراً حتى دخل زوجها حجرته

ليستريح، وذهبت عائدة إلى حماتها خائفة مرتعدة، وهل حدث مكروه أو ما يكشف الأمر، ألم؟ مغص؟ قيء؟ لكن الحمد لله لم يكن ما يعكر الصفو سوى عدم القبول وشدة الرفض هذه المرة وبإصرار، وقالت العروس سأصبر إلى النهاية طالما أنها ستموت إلى الأبد.

ومع وجبة المساء لم تفتح أبداً وظلت العروس تطرق الباب مراراً بإلحاح ولحاجة ساعات طوال حتى خيل لها أن الحكيم قد يكون أعطاهما ما طلبته أولاً (أي سريع القتل) وهذا قد زاد من إصرارها في البقاء حتى قبل طلوع الفجر بدقائق معدودة، أريد أن أطمئن هل هي ماتت؟ وإن لم تكن قد ماتت لابد وان تموت، فكيف لي أن أكف عن الطرق واذهب عائدة دون إتمام المهمة؟ وبدأت وكأنها تغني وتشدو ” ومن أراد قتل حماته سهر الليالي “

ولكن حالما شعرت أيضاً بأنها لم تفلح، وخوفاً من أن ييوح بسرها النهار، ويكشفها شروق الشمس، عادت أدراجها في سرية تامة وقبل أن يشعر بها أحد،

وفجأة تسمرت على صوت صراخ قادم من سكن حماها، ماذا تريدین؟ ولماذا هذا القلق اللیل كله؟ إنني لم أكل وجبة الغذاء، اذهبي اتركيني وشأني لم أنم لحظة واحدة بسبب إلحاحك ولجأجتك، ولماذا هذا الإزعاج؟ فقالت العروس : أنا آسفة، آسفة جداً يا حماي، وظلت تردد سرّاً كيف أتركك، لا أتركك أبداً إلا هناك، وهنا قبر وهناك قبر، آه يا حماي كلها قبور، ومتى كنت أنا وأنت أحياء؟ لقد تعاهدنا دون عهد أن نقتل سوياً دون سبب واضح أو ما يستحق، وها قد تبينا معاً قضية خاسرة وحكمنا على أنفسنا بالموت حزناً !!

وعلى صعيد آخر وماذا فعلت لأمي اليوم،
هكذا قال الزوج، وارتعدت الزوجة وارتعبت وقالت بسرعة وفزع لم أفعل شيء، لم أفعل لها شيء أبداً، فأجاب إنني أرى غير ذلك، أمي الآن على غير العادة. وجلست الزوجة خائفة خائفة، ولكنها دقائق معدودة وقد تناست الأمر كله وبسرعة، ثم عاودت لإكمال المهمة، ذاهبة

عشية وباكرووقت الظهر إلى كمال ثلاثة شهور، مرة
بالقبول ومرات بالرفض، وكأني بما أقول آه يا صبر أيوب!

(٣)

ولأول مرة ترى حمايتها وكأنها تريد أن تبتسم،
 فقالت في نفسها لم يقل لي الحكيم إن في البودر ما
 يضحك، عموماً لم يستجب وجهها أبداً؛ لأن هذا على
 غير العادة والمألوف، ولم يصدق الفم أيضاً وكأنه ليس
 لحماً ودماً، معذرة إنها لم تستخدم طوال سنوات المشاكل
 والخصام سوى عضلات الحزن القليلة، أما عضلات
 الفرح والسرور الكثيرة بالوجه لم تستخدم قط. ولكن
 وعلى أي حال فقد فرحت العروس لهذه النية، المهم
 ولأول مرة، ومع وجبة إفطار صباح اليوم الأول من الشهر
 الرابع، قالت أم الزوج لكنتها : شكراً..، ولكن قالتها
 بتلعثم كثير، وكأنها ولأول مرة تتعلم النطق كالأطفال،
 والكلام الطيب كباقي الناس، وذهبت مسرعة لتدخل
 قبرها، وكأنها قد أخطأت التعبير أو خانها الكلام،
 وعادت أيضاً زوجة الابن، وشعرت أن أبواب الموت قد
 انفتحت هذه المرة جميعها وعلى مصراعيها لهذه السيدة،
 وعليها هي فقط أن تستغل الفرصة، وتزج بها وبسرعة مرة

واحدة حتى إلى أسفل الجحيم ويبتلعها الموت إلى الأبد، حتى ولو أفرغت باقي البودر جميعه في طبق واحد وينتهي الأمر كله، وبدأت وبسـرعة ترتب وتعد لأيام الحداد والحزن، بشكل جاد وطبيعي، لكي لا ينكشف أي شيء، وقد ذهبت واشترت أكثر من طاقم ملابس سوداء لزوم الظروف الآتية والموت القادم !!

ومع وجبة الغذاء قالت حماها كفاك تعب يا ابنتي، فأجابت ولماذا كفى؟! باقي لك كثير عندي، وما أكثر الخير وأنت تستحقين، وكأنها تقول: لم يفرغ البودر بعد، وماذا عن نصيحة الحكيم؟ ثم أكملت إنني لم أتعب قط يا حماتي.

لا يا ابنتي، إنني أعلم جيداً إنك قد تعبت معي أيام وشهور وليالي، سوف لا أنساها أبداً، لن أنسى لك سهرك، تطرقين بابي وكنت أفتح لكى بينما قلبي مقفول، وأسرعت العروس من أمامها لتهرب كي تكمل ما قد عقدت النية عليه، الباقي لا يزد عن أيام معدودة، وأحسم الصراع وأتوج ملكة على بيتي وقلب زوجي، فأمسكتها

حماتها ولم تتركها أبداً، وقالت انتظري يا بنتي لك عندي كلام ونصيحة وسر

نصيحة، سر؟ هكذا قالت الزوجة.

نعم.. اهتمي بزواجك، اهتمي بنفسك وابنتك، أما أنا فلا، كفى إلى هذا الحد، إنني أرى أنك تقتطعين جزءاً كبيراً من وقتك ويومك وجهدك ومصرف بيتك، ولأجل من؟ لأجلي أنا...؟

لم أتركك لتنهئي بزواجك أبداً، لم يعيش معك كزوج بل كغريب، يتردد قليلاً على منزله، كان كساكن أو قولي ابن أمه عندك أحياناً يجيء.

لقد لاحظت يا ابنتي أنه فيما يتبنى الإنسان قتل صديقه لابد وأن يموت هو أولاً؛ لأن كل من كان فيه حياة لا يقتل فالقاتل إذا ميت !!

لقد كنتُ قاسيةً جداً، إنني أعترف وأقر أمامك، إنني قتلتك مرات ومرات في اليوم الواحد، كنتُ في قمة فرحي أيام حزنك الكثير، لقد كنت في قبري أسكن ولكن أرجو لك أنت أيضاً الموت، إنني أعرف جيداً يا

ابنتي أنكِ بللتِ فراشك بدموعكِ مراراً أياماً وليالي ولم
تستريحِي قط، كم من مرة أيضاً وبإيعاز مني وأمر لا
يُناقش كان ابني يحزنك ويكيك، وأكثر من ذلك مما
يعف اللسان عن ذكره، لقد حرمتك من حبه فحرمني الله
السلام ونعمة الهدوء، إن الكلام أبداً لا يعبر عما فعلته
وعما يجيش به صدري الآن، اتركيني أفرغ نفسي أمامك
وأعبر عما اقترفته بإرادتي الحرة الشريرة في حقك.

لم أقر أبداً حتى مع نفسي أنه قد صار زوج وأب،
إنه لا يزد عن كونه ابني، ابني أنا فقط، أما أنت فسارقة
الرجال من أحضان أمهاتهم، وتسكنين زنازة مجاورة،
فلقد كنت أنا في قبر وأنت في سجن، كان كل هذا
اعتقادي وتقييمي لهذا المقدس (سر الزواج) !

ترى متى ستنتشع من أمامي غيمة تلك السنين،
سنين الحزن وسنوات الألم والحد، وكيف أيضاً للأيام أن
تعوضك أنت الفرح وتعطيك السنين بديلاً للحرمان.

أكرر أسفي وشكري لك لاحتمالك واحتواءك
لي أنا المريضة، لقد سيجتُ حول نفسي بسور من

الأنانية وحب الذات، وتحصنتُ جداً لئلا يقتحمني السلام، لم أشعر بحياتي لأني دفنتُها داخلي بغباء وإصرار، آه يا ابنتي كنت أود وأتمنى لو أن سكان العالم كله يعيشون بمشاعرك، وقلبك الرقيق الغافر المسالم، ومشاعرك اللطيفة، فأنت ودودة جداً ومريحة للغاية، فأنت المرأة المريحة الجميلة دائماً، التي قال عنها (جان جاك روسو). ليتني كنتُ مثقفة وأعرف فن الكتابة كي أصفك وأصنفك، وأكتب عنك صفحات؛ كي تضيء للآخرين الذين هم في الظلام مثلي يعيشون.

آه يا ابنتي من الانقسام والتحزب والخراب، لقد جعلنا البيوت كالقبور ونحن لا نزد عن كوننا عظام نتنة وبلا سبب، لم أتذكر مرة واحدة طوال فترة المشاكل إنني طلبتُ من الله أن يحل بسلامه في بيتنا، ومن أين لي الوقت بينما أنا كلي منهمكة ومكرسة فقط في كيفية خراب البيت ودمار زوجة ابني؟ بشيء من التعقل وقليل جداً من هذا المجهود المضني كنا قد صرنا أسعد وأجمل أسرة في الحياة !

ولكن من جهة أخرى أيضاً وباختصار، يا ابنتي
 إني أعترف إنني كنت في السماء على مدى أربعة أشهر
 أو أكثر قليلاً، لا أتذكر على وجه التحديد، كان طعامك
 لي له مذاق خاص، ويختلف كثيراً عما أكلته طوال ستين
 سنة أو أكثر، وهي عمري بأكمله، لقد أطعمتني خبز
 السماء وطعام الملائكة وسلوى البرية، لقد أحسست
 إنني في مسيرة كنعان، وقد تركنا فرعون كله وجيوشه وراءنا
 ليغرق ويموت، وأنت كمریم النبية قائدة المسيرة الروحية
 بالدف ودفء المحبة وقيثارة الرحمة، وقد شعرت أن القائد
 الحقيقي هو الله نفسه، آه يا ابنتي لو عشتُ معك الآن
 يوماً واحداً فقط وأموت، سأشعر أن العمر كله كان
 حلماً جميلاً، أشكرك وتشكرك عني أحشائي وأوصالي
 وعظامي، إنني مديونة لك بكل كياني، فعلاً قد دبت في
 الحياة مرة أخرى بعد موت كثير، لقد جددت حياتي،
 وأعطيتني قبول وأمل لأعيش، بعد ملل وبؤس ويأس من
 كل شيء، وسأحسب من اليوم عمري!

آه يا ابنتي، إنني أعترف بأن أبناء المسيح
الحقيقيين مازالوا للآن يصنعون معجزات ويقىمون
أموات !!

لقد أنقذتيني من رائحة القبر وثنانة جسدي
ونخش دود أفكاري، آه يا راعوث وأنا أبدأ لست بنعمى،
وبدأت دموعها تسيل بغزارة ومرارة لتروي قساوة الماضي،
وتعبر بصدق عن الحاضر الحزين، وهذا يعطي أمل في
مستقبل أفضل.

ونزلت إلى الأرض لتقبل قدمي زوجة ابنها،
اسمحي لي يا ابنتي أن أقبل قدميك اللتين أعتقتاني من
طريق الضلال، اسمحي لي أيضاً يا ابنتي أن أعبر عن
ندمي وحزني وحي لك، لقد فجرت فيّ ينبوع كان مختوماً،
وقد كنت امرأة يابسة كعصاة هارون، وبحبك وحكمتك
وبذلك وسخائك وعطاءك قد أفرخت وأينعت، لقد
زرعت حب يا ابنتي في جبال مجدبة، وأرض محجرة،
وصخور صلبة. وها قد أثمر كله بالصبر، ولك أنت أن
تجني كل هذا وحدك هنا وفي السماء والدهر الآتي،

وعندما سجدت إلى الأرض ووقعت على قدميها، صرخت الابنة لا يا أمي لا تفعلي هكذا أبداً، لقد سمحت وتحت ضغط منك أن تصفيني بما ليس فيّ وتنعتيني بما هو غريب عني أبداً لكن أنا إنسانة شريرة، شريرة جداً، أنا كان قصدي...، فصرخت العجوز قصدك إيه يا ابنتي؟ لقد عبرت عن كل قصدك مراراً في اليوم الواحد بالحب والخير والبركة والسلام والطعام، كفى يا ابنتي لا تقولين شيئاً فلقد كان حديثك عملياً على مدى أيام وليال وشهور، ورد فعلك إيجابي كله، اتركيني فقط مرة أعبر عن ندمي وقساوتي بتقبيل قدميك، فقالت الابنة يا أمي أنت لا تعرفين عني شيئاً، اتركيني، وبدأت العروس تصرخ وتبكي، وتجري في شوارع المدينة، تائهة لا تعرف، في غير وعي لا نفهم، والعجوز تسرع وراءها حتى اختفت وغابت كشمس في يوم ربيع معتدل وسماؤه كلها صافية.

ولما رأت حماتها أنها لا تقدر على اللحاق بها، جلست على الأرض، وتركت كل دموعها المخزونة منذ

زمن الصبا، تعبر عن أيام الحزن وليالي القحط والجفاف،
وتغسل حطام امرأة عجوز، وبقايا أم زوج، وها هي لا
تعلم ما يخفيه القدر لها في الغد القريب وزوجة ابنها
الهاربة.

(٤)

أما العروس فقد ذهبت مسرعة إلى بيت الحكيم،
وقد جال بخاطرها في الطريق وهل هو يعيش حتى الآن؟
وإن كان يعيش فهل انتقل من المكان المعروف لدي؟
وأين يسكن الآن؟

وهل سيتذكرني؟ لقد كان طاعناً في السن
جداً !

وهل سيوافق أن يعطيني كمية من البودر مرة
أخرى؟

آه يا رب، هكذا صرخت تدعوا الإله، ولأول مرة
منذ زمن الخصام وأيام البعد والحرب والخراب.

ووجدت نفسها تطرق على الباب كالمجنونة،
وكأنها في سباق مع ملاك الموت إن جاز التعبير، وفتح
الحكيم.. نعم هو، نعم أنت، أعطني أيها الحكيم، أعطني
مرة أخرى، لكن هل تتذكرني، هل تعرفني من أنا؟ أنا
الذي أتيت إلى هنا منذ أكثر من أربعة أشهر، لا أتذكر
بالتحديد يا سيدي.

سيدي أرجوك حاول أن تتذكرني، لا يوجد وقت
يا سيدي هل تتذكرني، إهدأي يا ابنتي واخبريني من أنت
لا يا سيدي لا يوجد وقت كي نتعرف ثانية،
حماتي الآن ها هي واقفة في طابور الموت، وقرية جداً
تعداد ساكني اللحد، أعطني يا سيدي بودر آخر، بودر
ثاني، بودر كثير، بودر سريع المفعول، أعطني الترياق يا
سيدي الذي يقولون عنه، خذ كل ما أملك يا سيدي
وأعطني إياه، خذ حتى ابنتي الوحيدة كي لا تموت أبداً
حماتي. لقد تركتها ساجدة إلى الأرض تحت قدمي، أكيد
يا سيدي ترجوني الحياة، أه يا سيدي لقد أعطيتني بودر
قاتل منذ زمن وها حماتي تموت بسببه، أعطيتني سم يا
سيدي يقتل على مدى ستة شهور، وها قد أخذت
حماتي الجرعة كاملة إلا قليلاً، وقد اقتربنا من يوم الوفاة
ونهاية عمرها، حماتي طيبة يا سيدي، كان ينقصها فقط
أن يكتشف أحد رقعة قلبها. برغيف خبز يابس وكأس
ماء بارد وكلمة لينة، تدخل يا سيدي واسحب كل ما

بداخلها من موت، حماتي جميلة ليس فيها عيب، وبكت كثيراً، وآه مني أنا القاتلة.

فضحك الحكيم وقال لقد تذكرتك يا ابنتي،
أجلسي، فصرخت: كيف أجلس يا سيدي بينما حماتي
واقفة لتموت في شوارع المدينة.. وها هي منكسرة باكية
تروي كل التراب حولها تأسفاً، وكأنها تقول ” إن لم تخرج
الأرض ثماراً فأنا لازلت خاطئة لا تستحق الحياة “ !!

ألا تجلسي يا ابنتي دقائق معدودة؟

لقد قلت لك يا سيدي لا يوجد وقت، العمر
غالي جداً والوقت ثمين واللحظات حرجة، المشكلة أننا
نعرف ذلك بعد فوات الأوان ونهاية كل شيء، آه يا
سيدي على العمر الذي ضاع !

لا يا ابنتي اجلسي ولا تخافي أبداً، وهل أنا
أعطيتك. قاتل بالفعل؟

وماذا أعطيتني أنت يا سيدي؟

لم أعط لك سم قط يا ابنتي بل حُب مركز
ومُرَّكَب يقتل الشر الذي لم يكن أبداً من طبعك أو

طبيعتك، حُب لحمايتك، إنه لا ينسحب منها أبداً،
 حمايتك في انتظارك باكية نادمة تائبة، حمايتك تحبك لذا
 هي لا تموت.

صحيح يا سيدي لا تموت؟
 نعم يا ابنتي لا تموت؛ لأن الكتاب يقول: إننا قد
 انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة.
 فصرخت نعم نحب الإخوة، حمايتي لا تموت، نعم
 نحب الإخوة.

تَمَّت

صدر من هذه السلسلة

- (١) لن تموتنا، هكذا قالت الحية
- (٢) ردي كالقديم وجدد أيامي
- (٣) من يطفئ لهيب النار عني؟
- (٤) وأيضًا، أهي صراخ
- (٥) مالك نائمًا قم أصرخ إلى إلهك
- (٦) ساكنة القبر المجاور
- (٧) أذلتُ بالصوم نفسي
- (٨) اسمي مارين يا سيدي
- (٩) قد اقترب منكم ملكوت الله

فيما يتبنى الإنسان
قتل صديقه لأبد
وأن يموت هو أولاً،
لأن كل من كان
فيه حياة
لا يقتل
فالقاتل إذاً
ميت !!

ساكنة القبر المجاور